طرف بحيرة طبريا الجنوبي والبحر الميت وطوله نحو ٦٣ ميلاً وعرضه يختلف كثيراً واوسع نقطة فيه عند نمرين تبلغ نحو ١٠ اميال

اما الاقسام الشمالية من هذا الوادي فتدعى الغوير . وفيه تلال كثيرة اصطناعية ربما كانت حصوناً ومزارع قديمة . واطراف هذا الوادي الجنوبية الواقعة حوالى البحر الميت جدباء من كثرة الملح المنتشر فيها . والقسم الاكبر منه الآن تابع للاملاك الخاصة السلطانية (الجفتلك) وتديرشؤونه الزراعية مديرية بيسان . ونحن نعتقد رغماً عن الاجتهاد المصروف في تعمير اراضيه واستغلالها بعد ان كانت مهملة ان اسباب العمران لا تتوفر الا بتوفير اسباب الامن والراحة كمد طريق مركبات تتصل بطريق القدس عند اريحا وبطبريا من الطرف الآخر . وفتح مراكز للبريد والتلغراف فيه . وقد كتبنا بذلك مرة الى رئاسة كومسيون الجفتلك في الشام فرأينا انها اقتصرت على وضع شعبة تلغراف في بيسان وشرعت بتمهيد الطويق حواليها فقط

وبعد استيلاء السمرة على البلاد المعروفة اليوم باسم جبل نابلس صارت طريق اليهود بين الجليل واليهودية تمر بوادي الاردن تحاشياً من اختلاطهم بالسمره . ويعسر السفر في الغور في ايام الحر لانه يشتد ويكثر البرغش في وقت سكون الارياح فيعمي الابصار ويصم الاذان وافضل وسيلة لطرده كثرة التدخين

تحرير الصحافة في الشرق

يدعونا الى الكلام في هذا الموضوع في هذا الجزء فكاهة قرأناها لبعضهم منذ مدة وهي قوله في كلامه عن احدى المجلات ما معناه

« ان تحرير الجرائد والمجلات سهل جداً في هذا العصر . فانه يكفي ان تكون في مكتبة الكاتب دائرة للمعارف الاوروبية (انسيكلو بيذيا) لتكون مجلته او جريدته علمية تاريخية صحية فلسفية زراعية سياسية صناعية . اذ باب الترجمة واسع لكل داخل الخ .. »

فجواب المنصف على ذلك ان هذا الانتقاد في محله اذا كان الغرض منه لوم الكتاب لتركهم « الاخصاء » (انصراف كل عالم الى علم) واشتغالهم بكل ضروب المنقول والمعقول معاً . فيكون احدهم تاريخياً سياسياً زراعياً صناعياً تجارياً ادبياً فيلسوفاً في وقت واحد مع

انه لو صرف عمره في فنّ واحد من هـذه الفنون لما استطاع اتقانه كما يجب ولما المّ بكل ما يُكتب فيه . وقد سبقت الجامعة الى هذا الانتقاد في مقالتها « الكاتب الشرقي وحاجاته الجديدة » لان الجهر بالحق واجب وان كان مرًّا . ولكن اذا كان الغرض من كلام المنتقد تحقير العاملين في الشرق اليوم فانه تحامل وتطاول على الذين يشقّون انفسهم بالتعب والكدّ لنفع الناس . ولو انّ اصحاب المجلاّت الاوروبية والاميركيّة يسمعون بان في الشرق مجلاّت وجرائد قد ينفرد باحداها فرد يبذل عرق القربة في تحرير موادّها العلمية والادبية والسياسيّة المختلفة وابوابها المتعدّدة وان بين قراء الشرق من يجزي اصحابها على ذلك بالنصغير والتحقير جزاء سنمّار فانه يدهش من ذلك ويعرف به سرًّا من اسرار التأخر في الشرق وهو مقاومة العاملين النافعين

فالمجلات والجرائد في الشرق مضطرة الى تنويع ابحاثها تبعاً لاذواق قرائها . ولو انفردت كل واحدة منهـا بمادّة لما قامت لها قائمة . فالتبعة اذاً واقعة بالاكثر على الجمهور اذ ليس بين قرائه قراء يطلبون مادة واحدة ويكتفون المجلة المشتغلة بها . ولو وضعتَ اي عالم من علماء الغرب بين قومه موضع كتابنا بين قومنا اي انك عهدتَ اليه ان يحرر بقلمه وحده مجلة « تبحث في كل شيء » كما يقولون وتحوز رضى الجمهور الغربي واكرامه لاستعفى اليكَ بقوله « عفواً فلستُ حطّاباً » وما ذلك الاّ لانه يرى نفسه مع سعة علمه في فنه عاجزاً عن ارضاء الجمهور الغربي في باقي الفنون لان التأليف عندهم هناك ابتداع لا اتباع . ومن المحال ان يكون الابتداع في جملة فنون لان عمر الانسان قصير وقواه محدودة

ولنا احسن دليل على ذلك في كبير مؤلفي الغرب الفيلسوف ارنست رنان . فانه في مقدّمة كتابه « القديس بولس » لم يخجل من التصريح بانه استعان في كتابة هذا الكتاب بالمسيو دارانبورج والمسيو نولاير فيما يختص بالتلمود . وبالمسيو برو وهوزي ودي جاردين وكيبر فيما يختص بالجوغرافيا . وبالمسيو رنيه والجر ووادنكتن فيما يختص باللغتين اليونانية واللاتينيّة . قال ولم يكن فكري يستريح فيما يختص بشؤون سوريا وآسيا الصغرى الاّ متى جاء رأيي مطابقاً لرأي المسيو وادنكتون الرحالة المشهور . اي ان رنان كان يقابل من ذكرنا من الاخصائيين في اثناء تأليفه كتابه ويستعين بعلمهم — فاذا كان مؤلف مثل رنان يعتمد على غيره أيحرّم على كتّاب الشرق الاعتماد على كتاب الغرب الذين سبقوهم بمراحل

ثم ان الذين يظنون ان الترجمة والتلخيص امر سهل يخطئون خطاءً عظيماً . اذ القصد من الترجمة الصحيحة ابراز نفس مادة المؤلف بقالب مساوٍ لقالبها الاصلي في القوة والسهولة

والجمال . وهذا يقتضي قوى كقواه . نعم ان ترجمة وتلخيص الفصول التاريخية والنباتيَّة والصحية والطبيعية امر سهل لان الكاتب اذا تصرَّف فيها لا يشوّهها ولا تقتضي تعبًا غير معرفة الاصول وضبط الاصطلاحات . ولكن ترجمة المواد الفلسفية والاديبيَّة على الخصوص بقالب كقالبها الاصلي لا يعرف صعوبته الاَّ من عاناه . ولقد صرفنا نصف نهار في ترجمة « صلاة رنان على الاكربول » المنشورة في هذا الجزء مع اننا متى كانت المواد جاهزة لدينا نكتب بنصف هذه المدة اطول مقالة من مقالات الجامعة تأليفًا او تلخيصًا . وعلى ذلك فترجمة كتلك الترجمة هي في الحقيقة اصعب من التاليف

وبناء على ذلك لا غنىً للكتّاب اصحاب المجلات والجرائد في الشرق عن الاعتماد على علماء الغرب في جميع فروع الحركة العلمية لان الغرب اليوم مصدرها كما ان الشرق كان مصدرها من قبل وكان الغرب ياخذها عنه . والمخلصون منهم الذين يكرهون الشعوذة يعترفون بذلك ويقولون ان وظيفتهم انما هي قائمة باقتطاف المعارف الغربية من حدائق علمائها الاعلام المنصرفين الى غرس هذه الحدائق علماً وعملاً . اما الذين يحاولون انكار ذلك والتظاهر بضده فلا يجوز ايهامهم الاَّ على السذّج والعامة الذين يصدّقون كل مايقال لهم . ولو لم يكن المنتقد من الفريق الثاني لما صدر هذا الانتقاد عنه

وربما يُقال ان الكلام في المواضيع الشرقيَّة لا ينطوي تحت هـذا الحكم . فتاريخ الشرق وعادات الشرق وجغرافيـة الشرق لا تؤخذ الاَّ عن الشرقيين انفسهم . فجوابنا على ذلك بكل حرية وصراحة ايضًا اننا من سوء الحظ في هذا ايضًا لا غنى لنا عن علم الغرب وجدّه وصبره . فهنالك مستشرقون عظام ينفقون اموالهم واعمارهم في درس الشرق وآثاره معتمدين على مكاتبهم الخاصة بكتب علماء الشرق الاولين . وربَّ واحد منهم يسيح في الشرق سنة ويتفكر ويطالع في موضوعه سنتين ويكتبه في سنتين وينقحه في عشر سنوات ثم يبرزه آية في الجمال والكمال . فالمؤلفون في الشرق لا وقت عندهم ولا مال ولا احوال تساعدهم على هذا الانقطاع فيضطرون الى الاعتماد على رصفائهم الغربيين بالاكثر فيأخذون في سنة ما تعب اولئك سنوات في وضعه . واحيانًا يذكرون ذلك واحيانًا لا يذكرونه . فالشرق لا يزال طفلاً في كل شيء حتى فيما يختص بنفسه . والطفل لا يصير رجلاً بمجرَّد دعوى الرجولية . واذا كان هذا الطفل لا يزال يجلب ملابسه وآلات عمله وجميع حاجاته من الغرب فهل من الغرابة ان يجلب منه علمه ايضًا . هل ان ايجاد العلم اسهل من ايجاد المصنوعات . كلا بل ايجاده اصعب من ايجادها بكثير لانهـا ليست سوى نتيجة له . ولكن

العلم يسهل انتحاله والمصنوعات لا يسهل انتحالها

وغني عن البيان ان هذا القول لا يشمل التلخيص او التأليف من الكتب الشرقية العربيّة التي بين الايدي لان هذا الامر اسهل من التلخيص او التأليف من الكتب الافرنجية. ذلك لانه لا يستلزم سوى الصبر على المطالعة وحسن التأليف بين المواد الموجودة امامه في الكتب اي جمعها بعضها الى بعض مع ملاحظة تناقضها ومبالغتها

كل ذلك يعترف به الكتّاب ولا ينكرونه . وهم يعجبون بغيرة بعض الشرقيين الذين لا يرضون ان تتبع مجلاتهم وجرائدهم خطى علماء الغرب بل يطلبون ترقيتها لتستقل بنفسها وبعلمها . ولكن هؤلاء الغيورين ينسون من سوء الحظ ان ذلك لا يتمّ لها بالتطاول والتحامل عليها ولكن بمساعدتها وتشجيعها

اللغة العربية والشرق

بقلم جناب الشاعر المشهور مصطفى افندي صادق الرافعي

((يحق للقارئ بعد تلاوة هذه القصيدة الغراء ان يقول معنا هذا هو الشعر العربي المبين والدرّ النظيم . وقد خصص كلٌّ من نابغي الشعر في مصر نفسه بمقام رفيع يلوذ به . فشوقي بك شاعر الحضرة الخديوية . وحافظ افندي ابرهيم والشيخ مصطفى افندي المنفلوطي شاعرا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . اما الرافعي ناظم هذه القصيدة فهو على ما يظهر يحب ان يكون (شاعر الشرق) لكثرة حنينه اليه . وكل من يعرف شباب الناظم لا يشكّ في انه سيكون له في هذا الفنّ في الشرق ارفع مقام اذا استمرّ يطلب فنه لذاته ولم يبأس منه ويتشاغل عنه . والآن اليك درره في اللغة العربية والشرق))

أمٌّ يكيد لها من نسلها العقبُ ... ولا نقيصة الا ما جنى النسبُ

كانت لهم سبباً في كل مكرمة ... وهم لنكبتها من دهرها سببُ

لا عيب في العرب العرباء ان نطقوا ... بين الاعاجم الا انهم عربُ

والطير تصدح شتىً كالانام وما ... عند الغراب يُزكّي البلبل الطربُ

اتى عليها طوال الدهر ناصعةً ... كطلعة الشمس لم تعلق بها الريبُ

ثم استفاضت دياجٍ في جوانبها ... كالبدر قد طمست من نوره السحبُ